من: هرمز م. أبونا

إلى: لأخ سرجون سرجون المحترم تحية طيبة:

أقدم لكم جزيل شكري على تفضلكم بإرسال الرد الذي كان قد كتبه السيد هنيبعل بشيري في جريدة القدس والذي عكس من دون شك جانبا من مأساة الشعب الآشوري / السرياني التي حلت به في أرضه التاريخية، بلاد ما بين النهرين والتي تعرضت وبشكل دائم، إلى عملية تغيير ديموغرافي، لم يتم بوسائل سلمية، وإينما عبر أبشع أشكال القسوة التي غبرت عنها المذابح المستمرة منذ بداية بروز العناصر الغريبة الغازية لبلاد الخير والعطاء بلاد ما بين النهرين منذ بداية الألف الثانية للميلاد والتي اتخذت منحى مدمر بحق أبنائها منذ اعتناق المغول للإسلام في سنة ١٢٩٥.

ما أريد أن ألفت الانتباه إليه أن الخارطة الاثنية والدينية، القائمة في منطقة الهلال الخصيب عموما، وبلاد ما بين النهرين على وجه التحديد، تمثل صفحة مؤلمة في تاريخ البشرية حيث عكست ظاهرة الصراع بين قوى همجية بربرية متخلفة، كانت غرائزها المتعددة، تنساق إلى هذه البلاد التي أصبحت مركز الجذب إليها منذ التاريخ المشار إليه. فلقد حفرت على صخور جبالنا المصير الذي آلت إليه أرض الحضارات والعطاء حين تعاقبت موجات الغزاة من الترك ــ مغول الذين وجدوا في إيران المجاورة، الأكراد الذين كانوا على استعداد تلقائي لوضع قدراتها في خدمة كل غازي لبلاد ما بين النهرين. ومع كل موجة غازية بدأوا بالاستقرار التدريجي في بلادنا التي كان قدرها أن تسود أبنائها النزعة المثالية فتركوا بلادهم ليعيث فيها الأتراك، والأكراد فساداً لا يدافعون عنها مفضلين ترك ما يلحق بهم من ظلم " لــ عقاب السماء".

ما أريد الإشارة إليه بشكل خاص، هو دور الأكراد في انتزاع أرض السريان من أبناء الطوائف الآشورية والكلدانية والسريانية، وهذه العملية تمت بعد سلسلة متواصلة من المذابح والاضطهادات. فالتاريخ قد حفظ في ذاكراته إلى الأبد المذابح التي اقترفوها ايام كانوا أداة بيد الموجات التركية الغازية خلال الفترة السابقة لهيمنة الدولة العثمانية على بلادنا خلال ١٥١٤ / ١٥٣٠ والتي لدينا الكثير من الوثائق التاريخية الدالة على بشاعة ما قاموا به من مذابح ومجازر. ولكن ما يجب أن نكون على بينة منه هو بلوغ الأكراد مرحلة انتقلوا بموجبها من أداة بيد الغزاة كما يقول الكاتب الكردي الدكتور عبد الرحمن قاسملو فإنهم ومنذ عهد السلطان سليم الأول بدأوا يعملون لحسابهم الخاص ان صح التعبير، مستفيدين إلى أقصى الحدود من حالة الصراع العسكري والسياسي والمذهبي الذي كان قائما في المناطق المحيطة بوطن الطوائف الناطقة بالسريانية، وتحديداً ما بين الدولة الصفوية الشيعية في إيران وبين الدولة العثمانية. فعندما بلغت اضطهادات الفرس الصفويين الشيعة ذروتها ضد العناصر السنية الواقعة تحت حكمهم خلال محاولة فرض التشيع عليهم بالقوة، وما تبع ذلك من تهديد فعلي وخطر لوجود الدولة العثمانية، فهنا كانت المرحلة التي رسمت وقررت مصير شعبنا وأرضنا.

وباختصار شديد أود أن أشير إلى ما يلي:

١ – الأتراك العثمانيون تحت قيادة السلطان سليم الأول ١٥١٢ ــ ١٥٢٠م وجدوا في الأكراد الإيرانية السنة المضطهدين خير حليف لهم في صراعهم المميت مع الدولة الصفوية القوية تحت قيادة الشاه إسماعيل

٢ ــ زعماء القبائل، و مراكز القوى الكردية، بزعامة أدريس البدليسي وجدوها فرصة تاريخية للهيمنة على بلاد آشور وأرمينيا و أعالي ما بين النهرين. فقد قدموا أنفسهم كحلفاء للأتراك السنة في معركتهم الحاسمة ضد الصفويين الشيعة الذين كانوا يضطهدونهم وقد سجنوا زعمائهم بهدف فرض التشيع عليهم بالقوة كما فعلوا مع العناصر السنية الأخرى في إيران والعراق بعد أن أحتلوه سنة ١٥٠٨م.

٣ ــ بموجب نصوص الاتفاق "الرسمي" الموقع بين السلطان العثماني المذكور، وبين الملا أدريس البدليسي فقد تضمنت بنوده العديد من القضايا ومنها:

أ ــ يلتزم العثمانيون بتوطين الأكراد [من إيران] على طول الحدود الشرقية للإمبراطورية العثمانية الفاصلة بينها وبين الدولة الإيرانية الصفوية.

ب ــ يعفى المستقرون الأكراد في المنطقة المشار إليها [أي الشمال الشرقي للعراق الحالي وأرمينيا] من الضرائب وكافة الالتزامات التي تفرضها الدولة على رعاياها.

ج ــ يمنح الأكراد المستقرون في المناطق المشار إليها من امتياز إدارة شؤونهم الداخلية بأنفسهم [أي ما يسمى في الوقت الحاضر الحكم الذاتي]

٤ ــ الالتزامات الكردية، لقاء ما تقدم تمثلت بما يلي: أ ــ تشكيل ميليشيا [وحدات عسكرية] تكون مهمتها حماية الحدود الشرقية للدولة العثمانية ت ــ يساهم الأكراد بقوة عسكرية لمساعدة الأتراك في عملياتهم الحربية إذا ما اقتضت الحاجة ذلك.

٥ ــ في ٢٣ آب سنة ١٥١٤م وقعت معركة جالديران [شمال غرب بحيرة أورمية] الحاسمة بين الفرس الشيعة من جهة، وبين الأتراك وحلفائهم الأكراد من جهة أخرى وكانت نتيجتها هزيمة منكرة للفرس ونصر للأتراك والأكراد الذين قاموا بتدمير وطن السريان من ديار بكر والمناطق المجاورة شمالاً وحتى كركوك جنوب شرق مروراً بالموصل. محصلة الاتفاق كانت نزوح أعداد هائلة من القبائل الكردية من إيران إلى بلاد آشور والجزيرة العليا حيث لدينا سجلات تبين أسماء هذه القبائل والمناطق التي نزحت منها في إيران وتلك التي استقرت فيها. ومنذ ذلك الحين بدأ الأكراد، حلفاء الدولة العثمانية، بتعزيز مراكزهم في بلاد آشور وأعالي ما بين النهرين، زاحفين تدريجياً على المناطق التي تحيط بهم، و تدريجياً قاموا بانتزاعها من يد سكانها الأصليين الذين حولوهم إلى ما يسمى بالرعية أي عبيد يحرثون أرض آبائهم لمغتصبيها الأكراد. هذه الحالة استمرت بنجاح في جميع مناطق سكن الطوائف الناطقة بالسريانية والتي لم يكن لها القدرة الذاتية للدفاع عن نفسه،ا أو التي كانت في الواقع منهزمة من الداخل أصلاً، بسبب قناعاتها المثالية في ترك الظلم لقصاص السماء!. ظاهرة وجود مراكز آشورية سريانية قوية قاومت زحف أكراد "جالديران" متمثلاً على سبيل المثال بالقبائل الآشورية في تياري وحكاري وبالقبائل السريانية المتحصنة في جبل طور عبدين يفسر مأساتنا والمذابح التي لحقت بنا. فالأكراد خاضوا عشية وأثناء وبعد الحرب العالمية الأولى معركتهم الأخيرة ضد الوجود الآشوري بطوائفه المتعددة تلك المعركة التي كانت في الواقع استمراراً لعلمية الزحف التي كانت قد توقفت عند أسوار تياري وطور عبدين إلا أن الأكراد خلال هذه الفترة قدموا أنفسهم مرة أخرى وعلى ذات السياق التاريخي الذي عرفوا به كمرتزقة وقوة ضاربة للأتراك لا لمحاربة القوة العسكرية المعادية للأتراك وإنما وجهوا سيوفهم وسلاحهم وحقدهم ضد العزل من أبناء شعبنا الذين كانوا لا يزالون يحرسون الذكريات العطرة لآبائهم وأجدادهم في المدن والقرى التاريخية المنتشرة ما بين أذربيجان إيران شرقاً وماردين والجزيرة غرباً وبين فان شمالاً والموصل جنوباً. من هنا فإن فعل الأتراك خلال فترة الحرب العالمية الأولى لم يكن فقط عملاً دموياً متمثلاً في المساهمة في قتل وذبح مئات الألوف من الأبرياء من المناطق المشارة إليها وتشريد غيرهم في مناطق أخرى وإنما كان بذات الوقت قراراً سياسياً يسعى ويهدف بالدرجة الأولى إلى ربط الأجزاء المتناثرة للاستقرار الكردي في المنطقة خلال القرون السابقة لكي يخرجوا على العالم اليوم بما يعرف باسم "كردستان" التي ليس لها ذكر في المراجع التاريخية المعتمدة. نقطة أخرى وردت في المقال ولم يتم توضيحها بما يعكس الحقيقة التاريخية والمتعلقة بقوات الليفي.

وأود أن أشير باختصار شديد إلى أن بريطانيا وفرنسا الدولتان الاستعماريتان اللتان كشفتا عن أطماعهما في اتفاقية سايكس ــ بيكوت كانا بحاجة ماسة إلى قوة ضاربة تحمي وجودهما ومصالحهما الاستعمارية في المنطقة. تلك المهمة لم يكن بالإمكان تأمينها ولمدة طويلة بقدراتهم الذاتية [!] ففرضت عليهم الحاجة الاستعانة بالعناصر الضعيفة في المجتمع والتي كانت ظروفها الاجتماعية وخلفيتها التاريخية تؤهلها للعب دور القوى الضاربة للمستعمرين.

وفي هذا المجال فإن كلا الدولتين سعتا لتجنيد العرب والأكراد والتركمان في المرحلة الأولى من خطة تشكيل قوات الليفي وفعلاً فإن السجلات البريطانية تحفظ بأنه قد تم تشيل قوات الليفي من العناصر المذكورة خلال الفترة المحصورة بين ١٩١٥ ــ ١٩٢١م. إلا ان بريطانيا التي كانت تماطل وتناور في مشروع إعادة القبائل الآشورية النازحة من وطنها بسبب الحرب والتي كانت قد احتجزت في كمب بعقوبة كانت تعتبره كنزاً ثميناً بالنسبة لبريطانيا التي وجدت في هؤلاء المحاربين الأشداء القوة الضاربة القادرة على فرض السيطرة على العراق الذي كان تركيبة الطائفي والمذهبي قد جعله يدور في دوامة الصراعات والانتفاضات وحالة اللااستقرار.

من هنا نجد المخالطة التاريخية في الموقف البريطاني من الشعب الآشوري ففي الوقت الذي كان كبار المسؤولين الإنكليز يعلنون عن حرصهم على مساعدة أبناء تياري وحكاري للعودة إلى وطنهم في ذلك الوقت نجد ونستون جرجل وزير المستعمرات إلى جانب كبار المسؤولين البريطانيين في الشرق الأوسط يعقدون مؤتمراً في القاهرة في آذار سنة ١٩٢١ بموجبه أصدروا حكمهم بالموت البطئ على الآشوريين المشار إليه حيث تقرر أن يتم الاستغناء عن الليفي العربي والكردي والتركماني والاستعانة بالآشوريين وبعض اليزيدية. من هنا فإن مأساة شعبنا يمكن تحديد أبعادها وتشخيص العناصر التي كان لها دور بارز فيها. وتبعاً لذلك فإن مسؤولية الأكراد فيما حصل لشعبنا وأرضنا ليست فقط أخلاقية وإنما هي جنائية أيضاً ويجب أن تكون حاضرة في الذاكرة للعمل على تصحيح ما قام على خطأ.

مع تقديري هرمز م. أبونا